أثر طول الأمد في تغير المعتقد
دراسة عقدية

د٠ أيمن بن محمد الحمدان (*)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، أما بعد:

جاء في القرآن في مواضع متعددة أن من أسباب ضلال الناس في عقيدتهم بعد أن كانوا على هدى، من بعد نزول الوحي عليهم بواسطة رسلهم، مع ما خُلقوا عليه من الفطرة السويّة، هو طول الأمد، وبُعد العهد عن زمن النبوة، حتى كان ذلك سببا في نسيان ما ذُكّروا به، بل وفي تحريفه وتبديله على ما يوافق أهواءهم، الأمر الذي أدّى إلى ضلالهم، وبُعدهم عن الحق، ووقوعهم في الوثنية بعد التوحيد، «وإنما يكثر الاستمساك بالدين في أوائل ظهوره، ويكثر الفسق بعد طول الأمد عليه»(١).

من أمثلة ذلك ما ذكره الله تعالى عن أهل الكتاب بقوله: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾[الحديد:١٦]، وكذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾[القصص:٤٥] وغيرها.

(*) أستاذ العقيدة المشارك بكلية الملك عبد العزيز الحربية، وزارة الدفاع– قسم العلوم الإسلامية.

(١) تفسير المنار ٥٤/٤.

وقد لفت ذلك نظري في القرآن في مواضع ذكر قصص الأمم السابقة، فاستدعاني إلى جمع الآيات بهذا الشأن في وحدة موضوعية، فوجدت منها مادّة علمية تستحق الجمع والدراسة.

الدارسات السابقة:

لم أجد مَن بحث هذا الموضوع بحثا عقديًا، ولكن جاءت مفرداته متفرقة في كتب التفسير والحديث وغيرها، فأردت جمعها جمعا موضوعيا.

منهج البحث:

سلك الباحث المنهج التحليلي الوصفي، وقد جمع مادّة هذا البحث من مظانها على منهج البحث العلمي المعتبر، وعزا الآيات في المتن بذكر اسم السورة ورقم الآية، والتزم كتابتها بالرسم العثماني، وخرج الأحاديث من مصادرها الأصلية، وبيّن حكمها إذا كانت في غير الصحيحين، وعزا الأقوال لأصحابها، مع ضبط الغريب من الألفاظ.

أهداف البحث:

- دراسة سبب طول الأمد في انحراف العقيدة.
- ذكر نماذج من الأمم بهذا الشأن.
- دراسة أهم أسباب الانحراف عن العقيدة بطول الأمد.
- دراسة أبرز أسباب العلاج لذلك.

حدود البحث:

جمع ما ورد في القرآن من الآيات التي دلّت على أن من أسباب ضلال الأمم في عقائدها هو طول الأمد، وبُعد العهد عن زمن النبوة، ودراستها دراسة موضوعية، مع ذكر نماذج من أهم الأمم على ذلك.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

* **تمهيد:** في مفهوم الأمد.
* **المبحث الأول: أثر طول الأمد في انحراف العقيدة.**
* **المبحث الثاني: نماذج من أثر طول الأمد في انحراف العقيدة في الأمم**، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قوم نوح.

المطلب الثاني: أهل الكتاب، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: بنو إسرائيل.

المسألة الثانية: الديانة النصرانية.

المطلب الثالث: الأمة الإسلامية.

* **المبحث الثالث: أهم أسباب الانحراف عن العقيدة بطول الأمد، وعلاجها**، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب الانحراف عن العقيدة بطول الأمد، وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: سنة الله تعالى الكونية في النقصان بعد الكمال.

المسألة الثانية: ظهور الجهل ورفع العلم.

المسألة الثالثة: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المسألة الرابعة: كثرة الفتن.

المطلب الثاني: علاج الانحراف عن العقيدة بطول الأمد، وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: الدعوة إلى الله تعالى ونشر العلم.

المسألة الثانية: الاعتماد على الكتاب والسنة في مسائل العقيدة.

المسألة الثالثة: لزوم جماعة المسلمين وبلادهم.

المسألة الرابعة: كثرة الأعمال الصالحة.

الخاتمة ومراجع البحث

تمهيد

في مفهوم الأمد

الأمد في اللغة يدّل على الغاية، قال ابن فارس: «الهمزة والميم والدال، الأمد: الغاية، كلمة واحدة لا يقاس عليها»[(١)].

والغاية هنا بمعنى: «منتهى كل شيء وآخره»[(٢)].

والأصل في الغاية تطلق على الأمكنة، كما جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سَابق رسول الله ﷺ بين الخيل التي قد أُضمرت، فأرسلها من الحفياء، وكان أَمدها ثنية الوداع[(٣)]، «أي: غايتها، والأمد: المنتهى»[(٤)].

ومنه قول النابغة:

إلاَّ لِمِثْلِكَ أو مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ ... سَبْقَ الجَوَادِ إذا استوْلَى عَلَى الأَمَدِ

قوله: (أو من أنت سابقه) أي: لمثلك في حالك، أو لمن فضلك عليه كفضل السابق على غيره، أي: ليس بينك وبينه في الفضل والشرف إلا يسير، والأمد: الغاية[(٥)]

ويفيد هذا المعنى أن الأمد هو الدهر، يقال: ما أَمَدُك؟ أي: منتهى العُمُر[(٦)].

والأمد: مدة لها حد مجهول إذا أطلق، وقد ينحصر نحو أن يقال: أمد كذا، كما يقال: زمان كذا، ومن هذا المعنى جاء قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا

---

(١) مقاييس اللغة: ١/١٣٧.

(٢) كتاب العين، للخليل بن أحمد: ٨/٨٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غاية السبق للخيل المضمرة، رقم الحديث: (٢٨٧٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب المسابقة بين الخيل وتضميرها، رقم الحديث (١٨٧٠).

(٤) مطالع الأنوار على صحاح الآثار: ١/٢٨٥.

(٥) شرح القصائد العشر، ص: ٣١٥.

(٦) انظر: لسان العرب: ٣/ ٧٤.

تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾ [الجن:٢٥]، والمعنى: «غاية معلومة تطول مدتها»[١].

ولذلك يفيد لفظ طول الأمد معنى: طول الزمان، كما قال الله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ﴾ [الحديد:١٦].

والفرق بين الزمان والأمد أن الأمد يقال باعتبار الغاية، والزمان عام في المبدأ والغاية، ولذلك قال بعضهم: المدى والأمد يتقاربان[٢].

**

(١) تفسير الطبري: ٦٧١/٢٣.

(٢) المفردات في غريب القرآن، ص:٨٨.

المبحث الأول

أثر طول الأمد في انحراف العقيدة

من السنن الكونية في البشر فيما يتعلق بالاعتقاد أنَّ أيّ ملّة أو ديانة تكون في بدايتها خيرا من آخرها، وأولها أفضل ممن يأتي بعدها، وأنه كلما بعُد العهد عن زمن النبوة، ارتفع العلم، وحلّ مكانه الجهل، واتخذ الناس رؤوسا جهالا فسألوهم فأفتوهم بغير علم فضلوا وأضلوا، وحينئذ تظهر المحدثات في الدين، ويُلبس الحق بالباطل.

ولا يتوقف هذا الانحراف على اندراس أحكام شرعية عملية فحسب، بل يتعداها إلى انحرافٍ في العقيدة، وزيغٍ في أصول الدين، واندراسٍ لمعالم التوحيد، حتى يفضي ذلك إلى العدول عن مهيع التوحيد وجادّة الحنيفية، إلى وعورة مسالك الشرك، وبنيّات طُرق الوثنية.

ولقد «عُهد في سيرة البشر أن الأمة توعظ وتنذر، فتتعظ وتتدبر، فإذا طال عليها الأمد بعد النذير تقسو القلوب، ويذهب أثر الموعظة من الصدور، وتفسق عن أمر ربها، وتنسى ما لم تعمل به مما أنذرت به، أو تحرّفه عن موضعه بضروب التأويل، وزخرف القال والقيل، ولقد يكون للمتأخر منها بعض العذر لجهله بما فعل المتقدّم، وأخذه ما يؤثر عنه بالتسليم، لكمال الثقة وحسن الظن، بيّن الله تعالى هذه السنة الاجتماعية في سورة الحديد بقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد:١٦]، ولهذا كان تعالى يرسل الرسل بعضهم في أثر بعض حتى لا يطول أمد الإنذار على الناس فيفسقوا ويضلوا»(١).

(١) تفسير المنار: ٣١١/١.

وهذا ما وقع بعينه منذ زمن وقوع الشرك في عصور بني آدم الأولى، بعد أن كانوا على الملة المستقيمة، من آدم عليه السلام إلى أن حدث الشرك في زمن قوم نوح، ومن ثمَّ بعث الله تعالى المرسلين مبشرين ومنذرين، يجدّدون لهم الفطرة التوحيدية، ويذكرونهم بالوحي بما حادوا عنه من الملة الحنيفية، جاء في الحديث القدسي: (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)[١].

وتتابع الرسل والأنبياء في كل أمة، حتى نسخ الله تعالى الرسالات برسالة نبينا محمد ﷺ، وختم بدينه الأديان، وذلك على حين فترة من الرسل وانقطاع من الوحي، فأكمل الله تعالى به الدين وأتم به النعمة، ورضي الله تعالى للناس الإسلام دينا، ولم يقبض الله تعالى نبينه محمدا ﷺ حتى أقام به الملة العوجاء، وفتح به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا، وعادت الملة الحنيفية جذعة.

ومع ذلك كله فقد أخبر النبي ﷺ أن الساعة لا تقوم حتى يعود فئام من هذه الأمة إلى الشرك والوثنية، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تضطرب أَلَيات نساء دوس، حول ذي الخلصة)، وكانت صنما تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة[٢][٣].

وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان)[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم الحديث (٢٨٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان، رقم الحديث: (٧١١٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، رقم الحديث (٢٩٠٦).

(٣) تَبالة: بفتح المثناة، وتخفيف الموحدة، وبعد الألف لام ثم هاء تأنيث قرية بين الطائف واليمن. انظر: فتح الباري لابن حجر ٧٦/١٣.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، رقم الحديث: (٤٢٥٢)، والإمام أحمد في مسنده ١١٧/٣٧، رقم الحديث: (٢٢٤٥٢)، وقال الألباني: سنده صحيح على شرط مسلم. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ٢٥٢).

وهذا كله يدل على أن طول الأمد وبُعد العهد عن زمن النبوة سبب من أسباب الوقوع في الشرك وعبادة الأوثان، وهذا ما جاء صريحا في قول النبي ﷺ: (لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه)[1]، ولا شر أعظم من الوقوع في الشرك بعد التوحيد.

وكذلك ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا منزلا فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جشره، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ، فقال: (إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء، وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه هذه)[2].

ومن أشنع الأمور المنكرة التي ستصيب آخر هذه الأمة الانحراف عن العقيدة وفشوّ المحدثات الشركيّة وعبادة غير الله تعالى.

ومن الحقائق القرآنية في البشر ما بيّنه الله تعالى في مَعرِض إنكار كفار العرب لرسالة النبي محمد ﷺ، لكونهم لم يسمعوا بمثله في آبائهم الأولين، فأنكر الله تعالى عليهم برسالة موسى عليه السلام، وأنه ليس ببدع من الرسل، بقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[القصص:٤٥] والشاهد من هذه الآية الكريمة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب: لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، رقم الحديث: (٧٠٦٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول، رقم الحديث (١٨٤٤).

قوله تعالى: ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾، «فالمعنى: فكان المشركون حقيقين بأن ينظّروا رسالة محمد ﷺ برسالة موسى عليه السلام، ولكن الله أنشأ قرونًا، أي: أمما بين زمن موسى وزمنهم، فتطاول الزمن فنسي المشركون رسالة موسى عليه السلام، فقالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾ [ص:٧]، وحذف بقية الدليل وهو تقدير: فنسوا، للإيجاز لظهوره من قوله: ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾، كما قال تعالى عن اليهود حين صاروا يحرفون الكلم عن مواضعه: ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة:١٣]، وقال عن النصارى: ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة:١٤]، وقال لأمة محمد ﷺ: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ [الحديد:١٦]»(١)، وهذا يدل على أن طول الأمد بطول الأعمار سبب لوقوع الضلال محلّ الهدى.

ومن أعظم أسباب انحراف الأمم عن عقائدها التي فطرهم الله تعالى عليها، وتعاقبتها الرسل بالتذكير بالوحي الإلهي هو طول الأمد عن زمن الرسالة، وتقادم الأجيال، حتى نُسيت العقيدة، وطرأ عليها الشرك، قال ابن خلدون: «والعوائد إنّما ترسخ بكثرة التّكرار وطول الأمد فتستحكم صبغة ذلك وترسخ في الأجيال، وإذا استحكمت الصّبغة عسر نزعها»(٢).

وهذا ما يفسر تعنت المشركين وتصلبّهم على الكفر إزاء دعوة المرسلين على مختلف القرون والعصور، حتى أضحى ذلك ديدنهم، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾ [غافر:٥].

وذكر الله تعالى أن من أسباب ضلال المشركين بوقوعهم في الشرك ونسيانهم التوحيد، حتى أنكروا النبوة ونزول الوحي على بشر، هو تطاول العهد وطول

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٠/١٣١.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ١/٥٠٣.

العمر، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الفرقان:١٨]، أي: متع الله تعالى هؤلاء وآبائهم من قبلهم بطول العمر والصحة والنعمة حتى غفلوا عن الإيمان والتوحيد[١]، «والتعرّض إلى تمتيع آبائهم هنا مع أن نسيان الذكر إنما حصل من المشركين الذين بلغتهم الدعوة المحمدية ونسوا الذكر، أي: القرآن، هو زيادة تعظيم نعمة التمتيع عليهم بأنها نعمة متأثّلة تليدة، مع الإشارة إلى أن كفران النعمة قد انجرّ لهم من آبائهم الذين سنّوا لهم عبادة الأصنام، ففيه تعريض بشناعة الإشراك»[٢].

* *

(١) ينظر: تفسير البغوي: ٧٦/٦.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٤٠/١٨.

المبحث الثاني

نماذج من أثر طول الأمد في انحراف العقيدة في الأمم

المطلب الأول: قوم نوح عليه السلام:

لما أهبط الله تعالى آدم عليه السلام إلى الأرض، أكرمه الله تعالى بشرعه وتعاليم دينه، وضمن له الهدى وحسن العاقبة إن استقام على هدى الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨﴾ [البقرة:٣٨]، وقال: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ١٢٣﴾ [طه:١٢٣].

فكان البشر على الفطرة السوية، والملة التوحيدية لم تُشَبْ بغيرها، قال الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة:١٣٨]، وقال تعالى: (فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا) [الروم:٣٠]، ولم يختلف الناس في دينهم كالذي حدث بعد تطاول القرون وتعاقب الأجيال، كما جاء في الحديث القدسي: (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)(١).

وهذه الفطرة هي الميثاق الذي أخذه الله تعالى على بني آدم، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ١٧٣﴾ [الأعراف:١٧٢](٢).

وبعد هذا الهدى الرباني الذي كان عليه بنو آدم قرونا، دبّ إليهم التغيير والاختلاف في دينهم بأسباب متعددة، من أبرزها طول الأمد، والبعد عن زمن النبوة، كما قال الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٠٦/٣.

وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة:٢١٣].

وفي هذه الآية يخبر الله تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس بعد أن لم يكن، وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد، وهو الإسلام، حتى بعُد الناس عن زمن النبوة، وتطاول عهدهم عنها، حتى تعاقبت أجيال إثر أجيال، ودخلهم ما يتناقض مع فطرهم، ويتعارض مع رسالات من تقدمهم من الأنبياء، حتى وقع الشرك الصُراح، والكفر البواح بعبادة الأصنام في قوم نوح عليه السلام، جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «كان بين نوح، وآدم، عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا»[1].

وهذا الاختلاف من أعظم أسبابه طول الأمد عن زمن الرسالة، ويوضح ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أيضا لمّا ذكر توارث العرب لأصنام قوم نوح التي حدثت فيهم، قال: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ، أما ودّ كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف، عند سبإ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت»[2].

---

(١) تفسير الطبري: ٤/٢٧٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب (وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) [نوح:٢٣]، رقم الحديث: (٤٩٢٠).

وترسخت فيهم عبادة الأصنام حتى شكى منهم رسولهم نوح عليه السلام من تعنّتهم وتصلّبهم على ما طرأ عليهم من الوثنية وعبادة الأصنام، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ [نوح:٥-٦]، بل وتواصوا فيما بينهم بعبادة أصنامهم إمعانا في لجاجتهم وعنادهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣﴾ [نوح:٢٣].

وهذا يدل دلالة ظاهرة أن طول الزمن والبعد عن زمن النبوة كان سببا لحدوث أول شرك في الأرض، إذ صُورت تلك التماثيل ولم تعبد في حينها، حتى خلفهم جيل آخر بعد دروس العلم، فعُبدت من دون الله تعالى، بل وصلوا إلى حال أنكروا فيها توحيد الله تعالى بالعبادة، ولجّوا في عبادة أوثانهم في عتو ونفور، وهكذا تنشر الضلالات في البشر بتواطئهم على عمل مَن تقدمهم تقليدا لأسلافهم من غير حجة ولا برهان، بعد اندراس معالم الرسالة فيهم، وطول الأمد.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٩﴾ [يونس:١٩].

المطلب الثاني: أهل الكتاب، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: بنو إسرائيل:

الأصل في بني إسرائيل أنهم من ذرية يعقوب -إسرائيل- عليه السلام، وهم الأسباط الاثنا عشر -إخوة يوسف، ومنهم تناسلت بنو إسرائيل حتى كانوا أمة عظيمة ببلاد مصر قبل خروجهم مع موسى عليه السلام إلى الأرض المقدسة.

وسيكون الحديث عن بني إسرائيل في هذا المطلب من جهتين:

قبل مبعث موسى عليه السلام، لما كان بنو إسرائيل بمصر بعد قدوم يعقوب عليه السلام بلاد مصر زمن إمارة يوسف عليه السلام.

بعد مبعث موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل بمصر حين كانوا تحت استعباد القبط وتسلّطهم عليهم.

وأثر طول الأمد في انحراف عقائدهم ظاهر في كلا العهدين(١).

فأما قبل مبعث موسى عليه السلام، فبدؤه من زمن قدوم يعقوب عليه السلام بلاد مصر قادما من بلاد الشام، على أثر ما كان من شأن يوسف عليه السلام مع إخوته في قصته الشهيرة، وطلب يوسف عليه السلام من إخوته لما قدموا عليه لطلب الميرة ثم عرفوه، أن يقدموا بأهلهم بلاد مصر، كما حكاه الله تعالى بقوله: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [يوسف:٩٣]، فقدم يعقوب عليه السلام ببنيه وأسرته، على ما وصف الله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يوسف:٩٩]، من ذلك العهد توطّن بنو إسرائيل بلاد مصر عوضا عن بلاد الشام وأقاموا بها، إلى ذلك الحين الذي خرجوا فيه مع موسى عليه السلام لما بعثه الله تعالى إلى فرعون، وأمره أن يخرج ببني إسرائيل إلى الأرض المقدسة التي كتب الله تعالى لهم، هروبا من قبضة الفراعنة واستعبادهم إياهم، كما قال الله تعالى عن موسى مخاطبا فرعون: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ [الشعراء:٢٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص:٤](٢).

والذي حدث أن بني إسرائيل بعد استقرارهم بمصر، وبعد وفاة يعقوب عليه السلام ووصيته لبنيه أن يثبتوا على دينهم بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي

---

(١) بما أن مثل هذه الأخبار التاريخية لا يوثق فيها بما ذكره أهل الكتاب في مصادرهم، ولا بما ذكره المؤرخون، والذي ذُكر في القرآن من أخبارهم فيه الكفاية والوفاء بالمقصود إن شاء الله تعالى، فسأقتصر من ذلك على ما جاء في الخبر الصادق من الوحي، فهو المقطوع به يقينا، وما عداه فأحسن أحواله أنه لا يصدق ولا يكذب.

(٢) ينظر: رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج، ص١٥١.

قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة:١٣٣]، ولكن بعد وفاة يوسف عليه السلام وطول العهد عن زمن النبوة ومخالط القبط المشركين «سرى إليهم الشرك واتبعوا دين القبط»[(١)].

والذي يدل على ذلك أن الله تعالى لما بعث موسى عليه السلام بعثه إلى فرعون بأمرين:

الأول: الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وذلك كما قال الله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات:١٧-١٩].

والثاني: أن يأذن له فرعون بالخروج ببني إسرائيل من مصر، كما قال الله تعالى: ﴿ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الشعراء:١٦].

وكذلك بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل ليخرجهم من الظلمات إلى النور، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾[إبراهيم:٥]، وهذه الآية تدل على أن بني إسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام تسلّلت إليهم عبادة الأصنام، وضيّعوا دينهم الذي أوصى به يعقوب عليه السلام بنيه، ربما –والله أعلم– بعد زمن تعاقبت فيه الأجيال فنسوا دينهم، وتأثروا بدين من جاوروهم من القبط، ولذلك بعث الله تعالى موسى إلى بني إسرائيل ليخرجهم من الظلمات، وهل هذه الظلمات إلا الكفر، قال ابن جرير الطبري: «ادعهم، من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان»[(٢)].

(١) التحرير والتنوير: ١٣/١٨٩.
(٢) تفسير الطبري: ١٦/٥١٨.

وكذلك أيضا قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأنعام:١٥٤]، «ومعنى ذلك: لعلهم إن تحروا في أعمالهم، على ما يناسب الإيمان بلقاء ربهم، فإن بني إسرائيل كانوا مؤمنين بلقاء الله من قبل نزول التوراة، ولكنهم طرأ عليهم من أزمنة طويلة: من أطوار مجاورة القبط، وما لحقهم من المذلة والتغرب والخصاصة والاستعباد، ما رفع منهم العلم، وأذوى الأخلاق الفاضلة، فنسوا مراقبة الله تعالى، وأفسدوا، حتى كان حالهم كحال من لا يؤمن بأنه يلقى الله، فأراد الله إصلاحهم ببعثه موسى عليه السلام، ليرجعوا إلى ما كان عليه سلفهم الصالح من مراقبة الله تعالى وخشية لقائه، والرغبة في أن يلقوه وهو راض عنهم»[(١)].

وما تقدم يبين أن بني إسرائيل قبل مبعث موسى عليه السلام كانوا في ضلالة وعبادة غير الله تعالى، على أنهم كانوا أولاد الأنبياء، والله تعالى أعلم كم مكثوا من الزمن بعد أنبيائهم على الدين الصحيح ثم انحرفوا عنه، غير أن طول العهد وبعد الزمن كان له الأثر الظاهر في ذلك.

وأما بعد مبعث موسى عليه السلام، وخروجهم معه من مصر إلى بلاد الشام، فأحداثهم من التمرد على شرائعهم أمر ظاهر معلوم، وحسبنا من ذلك أن موسى عليه السلام لما ذهب إلى حيث كانت المواعدة مع الله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف:١٤٢]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، ففي وقت ذهاب موسى عليه السلام عبد قومه العجل من دون الله تعالى مع أن العهد قريب، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ [البقرة:٥١]، وأطلع الله تعالى موسى على ما كان من قومه من عبادة

(١) التحرير والتنوير: ١٧٧/٨.

العجل: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾ [طه:٨٥]، وكان من حال موسى بعد علمه بما وقع لقومه، كما وصف الله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾ [طه:٨٦]، والمعنى: «أي: المدة، فتطاولتم غيبتي وهي مدة قصيرة؟ هذا قول كثير من المفسرين»(١).

ومما أنكره موسى عليه السلام عليهم قوله: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾، والمراد بطول العهد هنا طول الزمن، والعهد مصدر بمعنى: معرفة الشيء وتذكره، أي: طال عليكم المعهود وبَعُد زمنه حتى نسيتموه، وارتكبتم خلافه بعبادة العجل(٢)، وهو طول نسبي، وقع منهم زمن مواعدة الله تعالى موسى عليه السلام، وموسى عليه السلام معهم وبين أظهرهم، ولذلك أنكر عليهم ذلك، فكيف بتطاول الزمان، وتعاقب الأجيال، واندراس العلم وذهابه؟.

وهكذا طول الأمد سبب لنسيان ما عُلم من الدين بالضرورة، إذا لم يُتعاهد بالتذكير.

واستمر بنو إسرائيل في تحريفهم دينهم بعد وفاة موسى عليه السلام وتطويعه لأهوائهم، حتى كانوا مضرب المثل والنموذج السيئ في تلقّي الشريعة، وتحريفها على علم وعمد، بل كانوا كما وصف الله تعالى يعاملون أنبيائهم بإحدى خصلتين، إما التكذيب، وإما القتل: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة:٨٧]، ولذلك قال الله تعالى مخبرا عنهم بما يكون من شأنهم إزاء الوحي الإلهي: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

(١) تفسير السعدي، ص: ٥١١.

(٢) انظر: تفسير الزمخشري: ٨٢/٣، والتحرير والتنوير: ٢٨٢/١٦.

[البقرة:٧٥]، فإذا كانوا يحرفونه من بعد علمهم به عمدا[(١)]، فكيف بحالهم إذا تقادم بهم العهد وطال عليهم الزمان؟.

ولذلك أخبر الله تعالى عنهم بما يكون من فسادهم الذي أعظمه عبادة غير الله تعالى، بقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء:٤]، والمعنى: أن الله تعالى أخبر بما يكون من شأنهم أنهم -والله - ليعصنَّ الله، وليخالفنَّ أمره في بلاده مرتين، وليستكبرنَّ على الله باجترائهم عليه استكبارا شديدا.

حتى انقلب دينهم من الوحدانية التي أمر الله تعالى بها موسى عليه السلام أول الوحي بقوله تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه:١٤]، إلى أن قالوا فيما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٠]، فإذا كانوا وقعوا في الشرك في حياة موسى عليه السلام ، بل سألوا موسى عليه السلام لما نجاهم الله تعالى من فرعون وملئه، بانفلاق البحر وخروجهم منه، كما وصف الله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف:١٣٨]، فلا عجب حينئذ أن ينحرفوا عن التوحيد إلى الشرك وعبادة غير الله تعالى.

المسألة الثانية: الديانة النصرانية[(٢)]:

جاءت رسالة المسيح عيسى عليه السلام مصدقة لرسالة موسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الصف:٦]،

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٧/١.

(٢) الديانة النصرانية: اسم للدين الذي ينتحله من يدّعي اتباع عيسى عليه السلام من مؤلّهيه. ينظر: دراسات في الأديان، للدكتور ناصر القفاري، ص٢١٢.

وقال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران:٤٩]، والحال أن بني إسرائيل من حيث الجملة كفروا برسالة عيسى عليه السلام، كما أحدثوا في دينهم وبدّلوه على ما تقدم، ولما جاءهم عيسى بما يدل على رسالته من الله تعالى لهم كفروا به،كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦﴾[الصف:٦]، وهموا بقتله ولكن الله تعالى صانه منهم ورفعه إليه وقتلوا شبيها له، وادعوا أنهم قتلوه، فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء:١٥٧-١٥٨](١).

واتبع عيسى عليه السلام ثلة من أصحابه الحواريين الاثني عشر، ليبلغوا دعوته وينشروها بين بني إسرائيل، وقد نالهم هم وأتباعهم من الاضطهاد والتعذيب من اليهود والرومان ما جعلهم مستخفين عن الناس، وأدى إلى ضياع كتبهم ومصادرهم، وامتد ذلك إلى أزمان طويلة(٢).

والديانة النصرانية مرت بأربعة أطوار رئيسة، وبهذه الأطوار يظهر مدى تأثير طول الأمد، والبعد عن زمن النبوة في انقلاب هذه الديانة من التوحيد الذي بُعثت لأجله الرسل، إلى الوثنية الخرافية التي لا تمتّ إلى الوحي الإلهي بسبب، وهذه الأطوار كما يأتي:

الأول: طور التوحيد الخالص، الذي يمتد من بعثة عيسى عليه السلام إلى رفعه.

الثاني: طور ما بعد رفع عيسى عليه السلام ، وقد تعرّض الحواريون أصحاب عيسى عليه السلام وأتباعهم إلى صنوف العذاب من قِبل الدولة الرومانية الوثنية.

---

(١) انظر: دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، ص ٤٠٩.

(٢) انظر: دراسات في الأديان، للقفاري، ص٢٢٢، ودراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، ص ٤١٣.

الثالث: طور دخول بولس اليهودي[1] في الديانة النصرانية مكيدة، لصرفها عن الدين الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام إلى الخرافة الوثنية[2].

الرابع: طور المجامع النصرانية التي كان لها الأثر في تثبيت العقيدة النصرانية القائمة على التثليث[3]، وعقيدة الصلب والفداء[4]، وألوهية وبنوّة المسيح عيسى ﷺ -كما زعموا- لله تعالى عما يصفون[5].

وبهذا يظهر كيف تبدلت ديانة أهل الكتاب -اليهود والنصارى- من أصول دينهم القائمة على التوحيد وعبادة الله تعالى، إلى اختراع وثنيات وخرافات

---

(١) بولس: اسمه العبري شاول ولد وعاش في طرسوس من أتباع الطائفة الفرّيسية اليهودية، وكان معاصرا لعيسى عليه السلام وهو أحد ألد أعدائه، وأعداء أتباعه، دخل في النصرانية، وغيّر اسمه شاول إلى بولس الرسول، وأدخل في النصرانية عقائد وثنية من تأليه عيسى عليه السلام، والتثليث، والصلب، وغير ذلك. انظر: كتاب اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، ص١٨، وما بعدها.

(٢) ينظر: بولس وتحريف المسيحية، ص٧.

(٣) عقيدة التثليث عند النصارى عقيدة أقرتها المجامع النصرانية، وهي: اعتقاد الألوهية في الله تعالى، وعيسى عليه السلام، وروح القدس (جبريل) عليه السلام، ويقولون: إله واحد الأب والابن والروح القدس إله واحد، جوهر واحد متساوان في القدرة والمجد، ويسمونها: الأقانيم الثلاثة، انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص ١٩٥.

(٤) عقيدة الصلب والفداء، من عقائد النصارى في المسيح عليه السلام، إذ يعتقدون أن عيسى مات مصلوبا على الخشبة، فداءً وتخليصا للبشر من خطيئة آدم عليه السلام، وهي أكله من الشجرة التي نُهي عنها، وانتقلت تلك الخطيئة إلى البشر جميعا التي أغضبت الله تعالى عليهم، فكان لابد من وسيط يتحمّل هذا الإثم، وهذا الوسيط في زعمهم لا بد أن يكون وضع متميزًا خاليًا من الإثم والخطأ، ولا يكون هذا في ابن الله (عيسى)، الذي هو الله في زعمهم، مما جعله يتجسّد في صورة عيسى ويخرج من بطن مريم، ليموت على الصليب فداء للبشرية. انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص ٢٢٥.

(٥) ينظر دراسات في الأديان، للقفاري، ص٣١٦.

وشركيات عادت بهم إلى ما هو أشد ضلالا وأبعد عن سواء السبيل، على حين أنهم يظنون أنهم على شيء، فاكتفوا من دينهم بالاسم الظاهر الذي لا حقيقة له في معناه، ومن أجل ذلك جاءت صفاتهم في القرآن في مواضع كثيرة تحذيرا منهم ومن صنيعهم، وحذّر الله تعالى أمة الإسلام على وجه الخصوص مسلكهم فقال: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد:١٦]، وفي هذه الآية الكريمة «نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمنا قليلا ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة، وقلدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد»(١).

كما يفيد تحذيرا للمسلمين بعد أن يطول بهم الزمان من أن يقعوا فيما وقع فيه أهل الكتاب(٢).

المطلب الثالث: الأمة الإسلامية:

كان من قدر الله تعالى في هذه الأمة التي ختم الله تعالى بها الأمم، كما ختم برسولها الرسالات، أنَّ عافيتها وخيرها جُعل في أولها، وسيصيب آخرها فتن وبلاء وأمور عظام، الأمر الذي يُظهر أثرَ طول الأمد في انحراف المعتقد، وأنه كلما بَعُد الزمن عن عهد النبوة، رُفع العلم، وانتشر الجهل، وكثرت المحدثات والبدع، التي أشدها الوقوع في الشرك ومخالفة التوحيد، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «ليس عام إلا الذي بعده شر منه، لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من

(١) تفسير ابن كثير: ٨/٢٠.

(٢) بتصرف من التحرير والتنوير: ٣٩٢/٢٧.

عام، ولا أمير خير من أمير، ولكن ذهاب خياركم وعلمائكم، ثم يحدث قوم يقيسون الأمور برأيهم، فيُهدم الإسلام ويُثلم»[١].

والذي قاله عبد الله بن مسعود ﷺ من أن رفع العلم بذهاب العلماء، ثم يأتي من غير العلماء من يقيس أمور الدين برأيه، فيكون سببا لهدم الإسلام وانتقاض عراه، هو في الواقع تشخيص لأثر طول الأمد في انحراف الناس عن دينهم، والذي يدل على أن طول الأمد له الأثر البالغ في انحراف المعتقد في هذه الأمة ما يأتي:

جاء عن أنس بن مالك ﷺ، لما شُكي إليه ما يلقاه الناس من الحجاج بن يوسف الثقفي، فقال: (اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم) سمعته من نبيكم ﷺ[٢].

وهذا «من علامات النبوة، لإخبار النبي ﷺ بتغير الزمان، وفساد الأحوال، وذلك غيب لا يعلم بالرأي، وإنما يعلم بالوحى»[٣]، فإن من يقرأ التاريخ الماضي والمعاصر يرى مصداق خبر الحديث، لا سيما فيما يتعلق بدين الناس، وأخص ذلك التوحيد وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، التي انقلب مفهومها عند بعض من ينتسب إلى الإسلام، إلى الشرك وعبادة غير الله تعالى، وذلك مثل عمارة المشاهد والأضرحة وبناء القبور، حتى عُبدت من دون الله تعالى، وإنما بعث النبي ﷺ لإخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، فتجد من المسلمين

---

(١) المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي، ص: ١٨٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب: لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، رقم الحديث: (٧٠٦٨).

(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال ١٠/١٤.

من يصلي لله ويصوم ويحج، ولكنه أشرك مع الله تعالى غيره باستغاثته بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، ونحو ذلك(١).

بل إن النبي ﷺ أخبر أن من هذه الأمة من يرجع إلى عبادة الأوثان آخر الزمن، كما جاء في حديث ثوبان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان)(٢).

ولما سمعت عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ يقول: (لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى)، تعجّبتْ من ذلك، وقالت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[التوبة:٣٣]، أن ذلك تامٌّ، قال ﷺ: (إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحا طيبة، فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم)(٣).

وكذلك جاء عن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تضطرب أَلَيَات نساء دوس، حول ذي الخَلَصَة)، وكانت صنما تعبدها دوس في

(١) ينظر على سبيل المثال كتاب: الدعوة إلى الله تعالى في أقطار مختلفة، للدكتور محمد تقي الدين الهلالي المغربي، فقد تضمن أشياء عظيمة من الانحراف عن التوحيد إلى الشرك في بعض بلاد المسلمين.

(٢) سبق تخريجه، ص٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، رقم الحديث: (٢٩٠٧).

الجاهليـة[1]، «والمـراد يـضطربن مـن الطـواف حـول ذي الخلـصة، أي: يكفـرون ويرجعون إلى عبادة الأصنام وتعظيمها»[2].

وهذه الأحاديث وغيرها تدل على أنه كلما طال العهد عن زمن النبوة، كان أدعى إلى غربة الإسلام، وانطماس معالمه، حتى في أظهر الأمور بيانا ووضوحا وهو التوحيد والدين الخالص والحنيفية، ولذلك جاء في الحديث عن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: (بدأ الإسلام غريبا، وسيعود كما بدأ غريبا، فطوبى للغرباء)[3]، ومن أشد غربة الإسلام الالتباس في مفهوم التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له، عند بعض المسلمين، حتى عبدت القبور والأشجار والأحجار في هذا الزمن[4].

وكيف وقد أخبر النبي ﷺ أن الساعة لا تقوم حتى تعبد اللات والعزى على ما كان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام، ولذلك بوّب الإمام البخاري في صحيحه: باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان[5].

وإذا كان الأمر كذلك فما الظن في هذه العصور التي انشغل بعض المسلمين فيها بالعلوم الدنيوية، وفرّطوا في علوم الشريعة، حتى أضحى مفهوم التوحيد غامضًا عند بعضهم، بل ربما وقع بعضهم فيما يقدح في التوحيد، أو يُنقص كماله الواجب من حيث لا يشعر، لا سيما مع الدعوات الإلحادية، والتمرد على الأديان.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان، رقم الحديث: (٧١١٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، رقم الحديث: (٢٩٠٦).

(٢) شرح النووي على مسلم: ٣٣/١٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدأ الإسلام غريبا، رقم الحديث: (١٤٥).

(٤) ينظر: الدعوة إلى الله تعالى في أقطار مختلفة، ص٢٣.

(٥) صحيح البخاري: ٥٨/٩.

المبحث الثالث

أسباب الانحراف عن العقيدة بطول الأمد وعلاجها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهم أسباب الانحراف عن العقيدة بطول الأمد، وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: سنة الله تعالى الكونية في النقصان بعد الكمال.

سنة الله تعالى في الأشياء في هذه الحياة الدنيا أنه ما يكمل شيء ويتمّ، إلا ويبدأ في النقصان، وكذلك دين الإسلام فإن الله تعالى لما أكمله وختم به الشرائع والرسالات وأنزل: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة:٣]، فقد تمت النعمة بهذا الدين على العالمين، وهذا ما روى عن أمير المؤمنين الْمُلهَم عمر بن الخطاب ﷺ في قول الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة:٣]، فقد روى ابن جرير بسنده عن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: لما نزلت: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة:٣]، وذلك يوم الحج الأكبر، بكى عمر، فقال له النبي ﷺ: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذ كمل، فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، فقال: صدقت(١).

---

(١) تفسير الطبري ٥١٩/٩، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٨٨/٧، رقم الحديث: (٣٤٤٠٨)، والفاكهي في أخبار مكة بلفظ: لما نزلت: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) [المائدة:٣]، فبكى عمر ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا عمر؟ قال: يا رسول الله، ما زلنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنه لا يكمل شيء إلا نقص. فقال صلى الله عليه وسلم: "صدقت". أخبار مكة للفاكهي ٣٧١/١، وقال الشيخ الألباني: علة الحديث الإرسال، وفيه نكارة؛ لتفرده بهذا السياق دون سائر الأحاديث الصحيحة، وبعضها في الصحيحين، وأنكر ما فيه قوله: (وذلك يوم الحج الأكبر)، فإن يوم الحج الأكبر هو يوم النحر، كما جاء في حديث ابن عمر ﷺ. ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: ٧٨٢/١٢.

وقال ابن كثير: «ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت: (إن الإسلام بدأ غريبا، وسيعود غريبا، فطوبى للغرباء)[1]»[2].

والمراد «بنقصان الدين، أهل الدين، فإنهم إذا تطاول عليهم الأمد، قست قلوبهم، وقل تمسك بعضهم بما أمر به، ومعاذ الله أن يعني عمر، نقصان الدين نفسه»[3].

وهذا ما أخبر عنه النبي ﷺ من نقصان الدين وضعفه في قلوب الناس، وأنه بدأ غريبا ويعود آخر الزمن غريبا كما بدأ، ويوضح ذلك ما جاء عن حذيفة ابن اليمان ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (يدرس[4] الإسلام، كما يدرس وشي[5] الثوب، حتى لا يُدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، ولَيُسرى على كتاب الله ﷻ في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله، فنحن نقولها)[6].

والواقع أن الصفات المذكورة في الحديث وُجدت مباديها من عهد الصحابة رضي الله عنهم، ثم صارت تكثر في بعض الأماكن دون بعض، والذي يعقبه قيام الساعة استحكام ذلك[7].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٦/٣.

(٣) من تعليق المحقق أحمد شاكر على أثر عمر في الحاشية. ينظر: تفسير الطبري ٥١٩/٩.

(٤) أي: ينمحي آثاره. انظر: شرح مسند أبي حنيفة، للقاري: ٥٦٢/١.

(٥) أي: نقش الثوب. انظر: شرح مسند أبي حنيفة، للقاري: ٥٦٢/١.

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم، رقم الحديث: (٤٠٤٩)، قوى إسناده الحافظ ابن جحر. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٦/١٣.

(٧) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج ٦٤٣/٤١.

وهذا يدل على أن طول الزمن عن عهد النبوة من مسبّباته انتقاض عرى الإسلام، حتى لا يعرف منه إلا كلمة التوحيد فحسب.

المسألة الثانية: ظهور الجهل ورفع العلم:

من أعظم أسباب الانحراف عن العقيدة بطول الأمد ظهور الجهل، ورفع العلم، حتى يكون المعروف منكرا، والمنكر معروفا، وبذلك أُشربت قلوب بعض من ينتسب إلى الإسلام حبَّ الشرك، وتغلغل في أفهامهم، حتى جعلوا من الشرك الأكبر قربة يتقربون بها إلى الله تعالى، بسبب شبهات تُنبئ عن جهل بما هو معلوم من الدين بالضرورة، كمعرفة حق الله تعالى على عباده، ومعرفة ما يضاد ذلك من الشرك صغيره وكبيره، وذلك ظاهر في أعمال بعض طوائف أهل القبلة، كفرق الباطنية، وبعض الطرق الصوفية، كمن يزور مراقد وأضرحة الأموات، ويتخذهم أندادا من دون الله تعالى، باعتقاده فيهم تدبير الكون، وإجابة الدعوات، وتفريج الكربات، وغير ذلك من مظاهر الشرك التي بعث النبي ﷺ لإخراجهم من ظلماتها، إلى نور التوحيد.

ولذلك جاء عن أنس ، قال: سمعت من رسول الله ﷺ حديثا لا يحدثكم به غيري، قال: (من أشراط الساعة: أن يظهر الجهل، ويقل العلم)(١)، وفي رواية: (يرفع العلم، ويثبت الجهل)(٢).

وإذا فشا الجهل بالدين، ورفع العلم بموت العلماء وعدم تعلّم الجهّال، عُبدت الطواغيت من دون الله تعالى، كما تقدم في أثر ابن عباس رضي الله عنهما في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة:٩٠] رقم الحديث: (٥٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، رقم الحديث (٨٠).

قصة قوم نوح لما عبدوا الأصنام بعد أن كان الناس أمة واحدة على التوحيد من لدن آدم عليه السلام، ولا عهد لهم بالشرك، فلما مات فيهم رجال صالحون «أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم عبدت»(١)، فهي لم تعبد حتى ذهب العلم، وقوم نوح عليه السلام أول الأمم التي أشركت مع الله تعالى غيره، بسبب ذهاب العلم، وكذلك الأمم اللاحقة إلى قيام الساعة.

وأيضا ما يكون في هذه الأمة آخر الزمن من الرجوع إلى عبادة اللات والعزى، وذي الخَلَصَة، ولحاق فئام من هذه الأمة بعبدة الأوثان، كل ذلك لا يكون إلا بذهاب العلم.

ثم إن الانحراف في العقيدة بسبب الجهل مع طول الأمد يأتي مع الزمن شيئا فشيئا حتى تتطبّع النفوس به من حيث لا تشعر، وتفصيل ذلك كما يأتي:

فتارة يأتي من الغرور بسوء التأويل، كما قال الله تعالى عن أهل الكتاب: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[آل عمران:٢٤]، «أي: ثبتهم على دينهم الباطل ما خدعوا به أنفسهم»(٢)، ومن أجل هذا الغرور ادعى أهل الكتاب كما وصف الله تعالى من حالهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:١٨]، ولذلك زعمت اليهود هذه الدعوى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[البقرة:٨٠] ، فنشأ من هذه الدعاوى وأمثالها انحرافات عقدية كثيرة، ترسخت مع تطاول الآماد عليها حتى حلّ الجهل محلّ العلم، وكذلك الأمر عند طوائف أهل القبلة ممن ينتسب إلى الإسلام، فقد ساروا على سَنَن من كان قبلهم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، رقم الحديث (٤٩٢٠).

(٢) تفسير ابن كثير: ٢/ ٢٨.

وتارة يأتي بسبب النسيان الناشئ عن قلّة تعاهد الدين استخفافا به، حتى يُنسى ويحلّ محلّه الهوى وشهوات النفوس، كما وصف الله تعالى اليهود بقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾[المائدة:١٣]، وكذلك أيضا قال عن النصارى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾[المائدة:١٤]، «تركوا العمل فصاروا إلى حالة رديئة، فلا قلوب سليمة، ولا فطر مستقيمة، ولا أعمال قويمة»(١).

فانتظم قول الله تعالى ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[الفاتحة:٧] ، من ضل عن دينه بسبب الغرور بسوء التأويل، أي: ضل عن دينه بسبب الهوى وإيثار ما تميل إليه نفسه، ومن ضل عن دينه بسبب الجهل الناشئ عن التفريط في تعلم الدين.

المسألة الثالثة: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن سبب الخيرية في الأمة وبقاء دينها وعقيدتها صافية دون تحريف ولا تبديل، على مرّ الأجيال واختلاف القرون هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي فيما بين الناس بالحق والصبر عليه، ولذلك قال الله تعالى ثناءً على أمة الإسلام: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[آل عمران:١١٠]، وقال تعالى في صفات المؤمنين: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[العصر:١-٣]، ومن التواصي بالحق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمعروف: «اسم لكل فعل يُعرف بالعقل، أو الشرع حسنه»(٢).

(١) تفسير ابن كثير: ٣/ ٦٦، وانظر: التحرير والتنوير: ١٤٤/٦.
(٢) المفردات في غريب القرآن، ص:٥٦١.

والمنكر: «كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول، فتحكم بقبحه الشريعة»(١).

وأعظم المعروف هو توحيد الله تعالى، وأنكر المنكرات هو الشرك بالله تعالى، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: (من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار)(٢).

وبنو إسرائيل لما وقعوا في المنكرات التي من أشنعها عبادة غير الله تعالى، من أسبابه ما ذكر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة:٧٩]، «وذلك أن شأن المنكرات عموما أن يبتدئها الواحد من الجماعة، فإذا لم يجد من يغيّر عليه تزايدوا فيها ففشت واتبع فيها الدهماء بعضهم بعضا حتى تعم وينسى كونها منكرا، فلا يهتدي الناس إلى الإقلاع عنها والتوبة منها، وهذا ما وقع فيه أهل الكتاب حتى انسلخوا من أصول دينهم إلى الشرك والوثنية(٣).

المسألة الرابعة: كثرة الفتن:

الفتن جمعة فتنة، والفتنة أصلها من الابتلاء والاختبار والامتحان(٤)، والفتنة أشد الاختبار، وهي: «ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر»(٥).

والنبي ﷺ أخبر عن خروج الفتن آخر الزمن، كما تقدم في حديث عبد الله بن عمرو، قال النبي ﷺ: (إن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها

---

(١) السابق، ص:٨٢٣.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات مشركا دخل النار، رقم الحديث (٩٣).
(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٢٩٣/٦.
(٤) انظر: تهذيب اللغة: ٢١١/١٤، ومقاييس اللغة: ٤٧٢/٤.
(٥) التعريفات، ص ١٦٥.

بلاء، وأمور تنكرونها)[١]، ومن شأن هذه الفتن الانحراف عن العقيدة الصحيحة، كما جاء عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا)[٢]، وزاد ذلك إيضاحا ما جاء في حديث خروج الدجال آخر الزمن في حديث عبد بن عمرو بن العاص ﷺ، وفيه قال النبي ﷺ: (فيبقى شرار الناس في خفّة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا، فيتمثّل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارّ رزقهم، حسن عيشهم)[٣].

ومظاهر الانحراف في العقيدة بتقادم العهد من جراء الفتن كثيرة جدا، من أبرزها في العصر الحديث: ظهور مظاهر الشرك والبدع والخرافات، من بناء المساجد والقباب على القبور، والاستغاثة والاستعانة بأصحاب القبور في الشدائد والأزمات، والذبح والنذور لهم «والنذر بالمال للميت ونحوه، والنحر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه، هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثنا وصنما، وفعله القبوريون لما يسمونه وليا وقبرا ومشهدا، والأسماء لا أثر لها ولا تغير المعاني... وكذلك تسمية القبر مشهدا، ومن يعتقدون فيه وليّا، لا تخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام، ويستلمونهم استلامهم

---

(١) سبق تخريجه، ص٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، رقم الحديث (١١٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه، وذهاب أهل الخير والإيمان، وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان، والنفخ في الصور، وبعث من في القبور، رقم الحديث (٢٩٤٠).

لأركان البيت، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية، من قولهم: على الله وعليك، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها»[1].

ومن أشد الفتن فتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، لا سيما إذا اقترن بذلك هوى النفس، قال الله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم:٢٣]، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦]، ومن مثل هذه الفتن مآلها إلى ما يناقض عقيدة الإسلام[2].

المطلب الثاني: علاج الانحراف عن العقيدة بطول الأمد، وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: الدعوة إلى الله تعالى، وتعليم العلم:

من أعظم أسباب علاج الانحراف العقدي بطول الأمد، الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، يكتنف ذلك كله الرفق واللطف بالمدعو، لأن ذلك من أعظم أسباب بقاء العلم بين الناس، وانتشاره بينهم، ولا يذهب العلم من الناس إلا إذا مات العلماء وعُدم التعليم، وبقي الناس جهّالا لا يتعلمون، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران:١٠٤]، وقال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥]، ومن أخص أوصاف المؤمنين ما بينه الله تعالى بقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر:٣] ، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾[البلد:١٧]، و جاء لفظ التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والتواصي بالمرحمة، لما في معنى الوصية من معنى العهد، والعناية بالمُوصَى والمُوصَى به، فكأنه لعظم شأنه وأثره عهد لا يُتهاون به[3].

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، للصنعاني، ص:٦١.
(٢) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: ١٦٥/٢.
(٣) انظر: تفسير جزء عمّ، وأحكامه وفوائده، ص٢٩٤.

المسألة الثانية: الاعتماد على الكتاب والسنة في مسائل العقيدة:

ومعنى ذلك أن يربط المسلم عقيدته بما جاء في القرآن والسنة، حتى يكون ذلك أقوم قيلا، وأثبت رسوخا، وأبعد عن نواقضها وقوادحها؛ لأن من أعظم مقاصد القرآن والسنة ترسيخ العقيدة الصحيحة في قلب الإنسان، ولذلك بيّن الله تعالى أن من حِكَم نزول القرآن تقرير العبودية لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾[النحل:٢]، وبيّن الله تعالى أيضا الحكمة من رسالة النبي ﷺ بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾[الأنبياء:١٠٨].

وقد بيّن الله تعالى أن القرآن يهدي لأقوم الطرق في كل شيء، ومن أخص ذلك ما يتعلق بأمور الاعتقاد، فالقرآن يهدي إليها بأيسر سبيل، وأقوم حجة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾[النساء:١٧٤]، وقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة:١٥]،

وبين الله تعالى أن في طاعة الرسول ﷺ الهداية الكاملة، وفيما عداها الضلالة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾[النور:٥٤].

المسألة الثالثة: لزوم جماعة المسلمين وبلادهم:

من أهم أسباب الثبات على العقيدة الصحيحة، وعدم الانحراف عنها بطول الأمد، لزوم جماعة المسلمين وبلادهم، لأن الدين الإسلامي دين مجتمعي يقوم بالجماعة، فمن لزم جماعتهم وبلادهم كان في مأمن -بإذن الله تعالى- مما

يخشى عليه الضرر في دينه، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

وفي كثير من أحاديث الفتن التي تخرج آخر الزمان يوصي النبي ﷺ بلزوم جماعة المسلمين، لما في ذلك -إن شاء الله -من العصمة من آثار الفتن، ومن ذلك ما جاء في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لما سأل النبي عن الفتن التي تكون في آخر الزمان، وسأله عن المخرج منها فقال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)(١).

المسألة الرابعة: كثرة الأعمال الصالحة:

الأعمال الصالحة لها أثر عظيم في توفيق المسلم للصواب، وإلهامه رشده، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾[الأنفال: ٢٩]، «فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره، وُفّق لمعرفة الحق من الباطل»(٢)، وقد أفاد لفظ الفرقان في الآية أنه يُراد به كل ما فيه مخرج لهم ونجاة من التباس الأحوال، وارتباك الأمور، وانبهام المقاصد، فيؤول إلى استقامة أحوال الحياة(٣).

ولذلك أوصى النبي ﷺ في زمن الفتن بكثرة الأعمال الصالحة، حتى إذا وقعت كان للمسلم في قلبه نور يفرّق به بين الحق والباطل، ويكون سببًا لعصمة الله تعالى له من مضلات الفتن لا سيما فيما يتعلق بالعقيدة، كما تقدم في الحديث (بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم)(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (٣٦٠٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب المغازي، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، رقم الحديث (١٨٤٧).

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٣/٤.

(٣) التحرير والتنوير: ٣٢٦/٩. بتصرف.

(٤) سبق تخريجه.

الخاتمــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وفي ختام هذا البحث، هذه أبرز النتائج:

طول الأمد بمعنى: طول الزمان.

- أنَّ أيّ دين يكثر الاستمساك به في أوائل ظهوره، ويكثر الانحراف فيه بعد طول الأمد عليه.
- أن طول الأمد وبُعد العهد عن زمن النبوة سبب من أسباب الوقوع في الشرك وعبادة الأوثان.
- من النماذج على انحراف الأمم عن العقيدة الصحيحة بسبب طول الأمد، ما يأتي:
  - قوم نوح.
  - أهل الكتاب.
  - الأمة الإسلامية.
- أهم أسباب الانحراف عن العقيدة بطول الأمد، ما يأتي:
  1. سنة الله تعالى الكونية في النقصان بعد الكمال.
  2. ظهور الجهل ورفع العلم.
  3. ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
  4. كثرة الفتن.
- من أسباب علاج الانحراف عن العقيدة بطول الأمد، ما يأتي:
  1. الدعوة إلى الله تعالى ونشر العلم.
  2. الاعتماد على الكتاب والسنة في مسائل العقيدة.
  3. لزوم جماعة المسلمين وبلادهم.
  4. كثرة الأعمال الصالحة.

والحمد لله رب العالمين،،،

المصادر والمراجع

١. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، المؤلف: محمد بن إسحاق الفاكهي، المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر: دار خضر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٢. إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، حققه: محمد عزير شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

٣. بولس وتحريف المسيحية، المؤلف: هيم مكابي، ترجمة: سميرة عزمي الزين، الناشر: المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.

٤. البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، المؤلف: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي، الناشر: دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

٥. تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، المؤلف: د. أحمد علي عجيبة، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

٦. التعريفات، المؤلف: علي بن محمد الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٨. التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م.

٩. تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

١٠. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.
١١. تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، المؤلف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، المحقق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
١٢. تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
١٣. جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
١٤. رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية، المؤلف: غطّاس عبد الملك الخشبة، الناشر: دار الهلال، مكتبة الإسكندرية.
١٥. دراسات في الأديان، المؤلف: د. ناصر بن عبد الله القفاري، الناشر: دار العقيدة، الطبعة الثانية ١٤٤٣هـ.
١٦. دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، المؤلف: د محمد علي البار، الناشر: دار القلم، دمشق.
١٧. الدعوة إلى الله تعالى في أقطار مختلفة، المؤلف: د. محمد تقي الدين الهلالي، الناشر: مكتبة الصحابة، الشارقة، ومكتبة التابعين، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
١٨. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ.
١٩. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، المؤلف: د. سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٢٠. رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج، المؤلف: غطاس عبد الملك الخشبة، الناشر: دار الهلال.

٢١. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، المحقق: شعَيب الأرنؤوط، ومحَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

٢٢. سنن ابن ماجه، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ.

٢٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

٢٤. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٢٥. شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو الحسن علي بن خلف ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

٢٦. شرح مسند أبي حنيفة، المؤلف: علي بن محمد الملا الهروي القاري، المحقق: الشيخ خليل محيي الدين الميس، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٧. شرح القصائِد العشر، المؤلف: يحيى بن علي الشيبانيّ التبريزي، الناشر: عنيت بتصحيحها وضبطها والتعليق عليها للمرة الثانية: إدارة الطباعة المنيرية، عام النشر: ١٣٥٢هـ.

٢٨. كتاب العين، المؤلف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٢٩. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٣٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

٣١. صحيح البخاري، المؤلف: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٢. صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج القشيري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب الناشر: دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٣٧٩هـ.

٣٤. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم ابن منظور، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

٣٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ.

٣٦. المدخل إلى السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين البيهقي، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.

٣٧. المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٣٨. مطالع الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف: إبراهيم بن يوسف بن قرقول، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ.

٣٩. معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس القزويني، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ.

٤٠. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

٤١. اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، المؤلف: د. محمد أحمد ملكاوي، الناشر: دار الإسراء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٤٢. النصرانية من التوحيد إلى التثليث، المؤلف: د. محمد أحمد الحاج، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

* * *